ببليوغرافيا الأدب المقارن العربية : قراءة في آليات التصنيف ورهانات الرقمنة

Bibliography of Arabic comparative literature: Read in the classification mechanisms and bets digitization

د. مكي سعد الله[1]

أستاذ محاضر –ب-

جامعة العربي التبسي- تبسة- الجزائر

Saadallah-58@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2020/05/05 تاريخ القبول: 2020/06/15 تاريخ النشر: 2020/06/30

ملخص

انفتح الأكاديميون العرب على حقل الأدب المقارن منذ ظهوره في فرنسا، واطلعوا على أسسه المعرفية النظرية وطرائقه وقضاياه المنهجية، فشرعوا في التأليف والتصنيف النظري، فاغنوا المكتبة العربية ببيليوغرافيات متنوّعة ومتعددة، شملت مختلف المدارس المقارنية العالمية انطلاقًا من المدرسة التاريخية الفرنسية التي صنعت منه سلطة للوعي القومي ووصولاً إلى التيارين الأمريكي وتوجهاته في النقد الجديد والسلافي الداعي لدور الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية في عمليات الإبداع؛

يسعى هذا البحث إلى استقراء واستعراض المنجز العربي في الأدب المقارن نقدا وتحليلا لتبيان درجات الانجاز وقيمته ضمن مكتبة عالمية لا تنفك ولا تتوقف عن التأليف كمًا ونوعًا، خاصة بعد فتوحات العولمة والثورة الرقمية في فضاءات الاتصال والتواصل؛ ويدعو البحث الى تبنّي آليات الرقمنة العلمية الأكاديمية، لتحقيق التوسع والانتشار وبلوغ الكونية المعرفية في عالم معولم زالت فيه الحدود التقليدية وانتفت فيه العزلة الثقافية.

الكلمات مفتاحية: الأدب المقارن – بيبليوغرافيات- الرقمنة- العولمة- الكونية.

Abstract

The Arab academics have opened up to the field of comparative literature since its appearance in France, and have seen its cognitive and theoretical basis , its methods, as well as its methodological issues, So they embarked on authoring and theoretical classification, therefore they enriched the Arab Library with diverse and multiple bibliographies, which included various international comparative schools Starting from the French historical school that made it an authority for the national consciousness, Up to the American streams and its trends in the new and Slavic criticism calling for the role of economic and social dimensions in the processes of creativity;

This research seeks to extrapolate and review the Arab achievement in comparative literature, critically and analytically, to show the degrees of achievement and its value within an international library that does not stop nor cease to create both quantity and quality, especially after the conquests of globalization and the digital revolution communication spaces.

The research calls for adopting Academic scientific digitization methods, in order to achieve expansion and attain cognitive cosmopolitism in a globalized world where traditional boundaries has been removed and cultural isolation has disappeared.

[1] المؤلف المراسل: مكي سعد الله، Saadallah-58@yahoo.fr

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

Keywords: *Comparative literature- bibliographies- digitization-globalization-cosmopolitism.*

مقدمة

شهد الأدب المقارن منذ نشأته وظهوره كحقل معرفي مرتبط بالأدب والتاريخ وسيكولوجيا المجتمعات في فرنسا انتشارا ورواجا واسعا لم يشهده أي ميدان بحثي في الأدب عموما، واحدث جدلا معرفيا وفلسفيا وأدبيا من حيث إثارته للعديد من الإشكالات، سواء تلك المتعلقة والمرتبطة بالمصطلح مباشرة أو الأخرى المتصلة بالميادين والمجالات والأدوات والتقاطع مع مختلف الحقول المعرفية، من تاريخ ونقد وفنون تعبيرية متعددة ومتنوعة.

وقد تأسست على هذه المطارحات والأطروحات والانتقادات الموجهة للمدرسة المقارنية الفرنسية، باعتبارها النواة التأصيلية والتأسيسية للمقارنة العلمية والأكاديمية، مدارس واتجاهات جديدة، بنت وصنعت لنفسها هوية مقارنية متميزة ومتفردة بضوابط وشروط واليات مختلفة من حيث الآليات الإجرائية أو المنهج والرؤية.

وقد شهد الجدل والحوار والمناظرة حول الإشكالات انتقالاً جوهريًا ومركزيًا بمغادرة الفضاء الأكاديمي المهيكل والمنظَّم ضمن أطر التدريس الجامعي (مدرسة ليون/ مدرسة باريس) إلى مشهد التأليف والتصنيف والترجمة والاجتهاد الخاص المتميّز بالحرية في المقاربة والتحليل والنقد (الدعوة إلى الانفتاح على آداب الشرق)(انتقاد الرؤية المركزية للتاريخ)

فكانت مبادرات النقد الذاتي في شكل حركات تجديدية وانتفاضات نقدية للمنهج والآلية للجيل الثاني من المقارنين الفرنسيين بقيادة رينه ايتيامبل (René Etiemble) (1909-2002)

حيث لم تهتز المدرسة الفرنسية أمام انتقادات تيار النقد الجديد أو المدرسة الأمريكية بقدر استجاباتها للنقد الذاتي الداخلي الذي وجهه رينيه ايتيامبل، الذي طالب بالتجديد في الأصول والمنهج والأدبيات حتى أُعتبر منهجه النقدي نضالا ثوريا[1] ضد المقارنة الكلاسيكية التي تجعل من منهج المقارنة غاية في ذاته، لا وسيلة للانفتاح على الآداب والثقافات الأخرى، وكان كتابه (comparaison n'est pas raison) (المقارنة ليست مبررًا) إحدى المحطات الفارقة في تاريخ المقارنة الفرنسية، وقد انتقد بشدة مقاربات ماريوس فرانسوا غويار (*Marius-François Guyard*)(1921-2011) خاصة ما تعلق بالمركزية والتحيُّز القومي ودعا إلى ضرورة إبعاد الأدب المقارن عن النزعة القومية مع وجوب الانفتاح على المنظومات الثقافية الأجنبية، وكانت كتاباته وأبحاثه تصديقا لدعواته، فقد تحدث عن (الشرق الفلسفي في القرن الثامن عشر)(*L'Orient philosophique au XVIII^e siècle*) سنة 1961، وكتابه (هل نعرف الصين؟) (*Connaissons-nous la Chine ?*) سنة 1964، ولعل مؤلفاته النظرية في بناء الأدب المقارن الفرنسي والتأصيل لمدرسة تتجاوز الانتقادات الأمريكية، كانت روحا تجديدية وإحيائية لفلسفة المقارنة الفرنسية ومن أهمها كتاب (دراسات في الأدب (حقيقة) العام)(*Essais de littérature (vraiment) générale*) سنة 1974 والذي فرق فيه بين الأدب العام والأدب المقارن. ودعم دراساته بكتابين رئيسين في المقارنة الجديدة كان أولها كتاب (انفتاح (ات) لمقارنة كونية)(*Ouverture(s) pour un comparatisme planétaire*) سنة 1988، وثانيهما (دراسات جديدة في الأدب الإنساني)(*Nouveaux essais de littérature universelle*).

ورواد الجيل الثالث من المقارنة الفرنسية بقيادة بيير برونيل(Pierre Brunel) وايف شوفريل(Yves Chevrel) الذين تداركوا النقائص قاطعين الطريق أمام الانتشار السريع للاتجاه الأمريكي الذي استغل انتقاداته للمركزية الفرنسية، لينتقل الصراع المعرفي/الأدبي من القارة العجوز إلى البلاد المفتوحة التي تؤصل لهويتها المتعددة على جميع الصعد، ثم يتداخل الصراع ويتنوع فكرا ومنهجا وأدلجة بدخول الرؤية الماركسية (السلافية) ميدان الانتشار والتواجد.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وضمن هذا المناخ الفكري والأدبي العالمي بدأت البعثات التعليمية العربية والبرامج الجامعية تنفتح على نمط وشكل ومنهج بحثي جديد هو المقارنة، فكانت إشكالية الحضور والغياب؟ وسؤال التلقي والاستقبال؟

1-العرب والأدب المقارن

أولاً: مرحلة التأسيس النظري[2]

تميَّزت هذه المرحلة بنقل المصنفات في الأدب المقارن من اللغة الفرنسية عمومًا إلى اللغة العربية ولعل هذا ما يفسر سيطرة الدراسات التطبيقية وفق مبادئ وشروط وضوابط الرؤية الفرنسية، وكان كتاب بول فان تيجم (Paul Van Tieghem)(1871-1948) "الأدب المقارن" الذي ألَّفه سنة 1931، ويعتبر من أهم الكتب النظرية التي أُلِّفت في النصف الأول من القرن العشرين في محاولة لرسم معالم الأدب المقارن، وتحديد أسسه ومنطلقاته، بدءاً من المصطلح وإشكالاته وتعريفه وتاريخ ظهوره، مرورًا بالأسس والوسائل والوظائف والنتائج، دون تجاوز الأنواع والأساليب، والمواضيع (التيمات) والنماذج البشرية، وشكَّلت ظاهرة التأثير والتأثر حضورًا من حيث الأشكال والأنواع والقوانين والضوابط، بالإضافة إلى المصادر والوسائط وأدوارهم في عمليات التبادل الثقافي وغيرها من الموضوعات.

سيطر هذا الكتاب على الأقسام النظرية من جميع المؤلفات العربية في الأدب المقارن وكان أرضية لصناعة وبناء الرؤية العربية لاكتشاف الأدب المقارن بمصطلحه ومفهومه وميادينه ومجالاته وأدواته (عدة المقارني) ولم يخل مصنف عربي قديم من ذكر تعريفاته وإتباع منهجيته ومنها على سبيل التمثيل كتب نجيب العقيقي، "من الأدب المقارن"، (1948) ومحمد غنيمي هلال، "الأدب المقارن" (1953) وريمون طحَّان، "الأدب المقارن والأدب العام" (1972) وطه ندا، "الأدب المقارن"،(1975) والطاهر أحمد مكي، "الأدب المقارن، أصوله وتطوره ومناهجه (1987) ولم تختلف هذه المؤلفات عن الكتاب التأسيسي الفرنسي إلاَّ في النماذج التطبيقية، التي تمَّ اختيارها وانتقاؤها من تاريخ الأدب العربي.

بينما احتلت كتب ماريوس فرانسوا غويار(Marius-François Guyard)(1921-2011) "الأدب المقارن" (1951)وكلود بشوا(Claude Pichois)(1925-2004)، أندريه ميشيل روسو (Rousseau André-Michel) "الأدب المقارن" (1967) وبيير برونيل (Pierre Brunel)،كلود بيشوا(Claude Pichois)،أندريه ميشيل روسو(André-Michel Rousseau) ما الأدب المقارن؟(1983) مرتبة ثانية في التأصيل النظري للأدب المقارن، فقد استندت العديد من الدراسات العربية على الأصل الفرنسي أو على الترجمات التي أنجزها هنري زغيب ورجاء عبد المنعم جبر وغسان السيد، فيما لم تحظ أعمال فرنسية أخرى بالاهتمام إلا بنسب ضعيفة أو منعدمة ومنها على الخصوص كتاب رينه ايتيامبل (René Étiemble)(1909-2002) (comparaison n'est pas raison) (المقارنة ليست مبررًا)(1963) إلا في جزئه المتعلق بأزمة الأدب المقارن وهي تلك المراجعات التي نادى بها الباحث وخاصة ضرورة الانفتاح على الآداب الشرقية وهي الرؤية التي افرد لها دعوة جديدة في كتابه (انفتاح – ات- على المقارنة الكونية)(Ouverture(s) *sur un* comparatisme planétaire *(1988)*.

وقد تجلت التأثيرات والمحاكاة من خلال استعراض ميادين المقارنة من رحلة الآداب والأفكار ونظريات تلقي الآداب وصور الشعوب في آداب بعضها البعض، وتحليل النماذج البشرية، وكانت كتب الطاهر أحمد مكي " في الأدب المقارن، دراسات نظرية وتطبيقية" (1988) وكتاب عبده عبود "الأدب المقارن، مشكلات وآفاق" (1999) وكتاب ماجدة حمود "مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن" (2000) وغيرها من الدراسات والأبحاث التطبيقية التي استندت على دعائم المدرسة الفرنسية في الممارسة المقارنة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والملاحظ في تأثيرات المصنفات الفرنسية، الآثار البسيطة لأحد كبار المقارنين الفرنسيين وهو ايف شوفريل (Yves Chevrel) الذي كتب أبحاثا رائدة في حقل المقارنة ومنها "الأدب المقارن" (1992)الذي حاول أن يجيب في مقدمته عن إشكالية، لماذا الأدب المقارن؟ وطرح في متنه قضايا كبرى في الحقل المقارني منها، مسألة الدود في الأدب وتلقي الأعمال الأجنبية والعلاقة بين الآداب واللغات بالإضافة إلى علاقة الأساطير بالأشكال الأدبية وأخيرًا الدعوة إلى شعرية المقارنة. كما شارك في انجاز كتاب "الوجيز في الأدب المقارن" (Précis de littérature comparée) (1995)، وكان بحثه المنشور في كتاب " مقارنة الأجنبي" (Comparer l'étranger) (2007) والموسوم ب " الأدب المقارن والبحث عن حقل جديد" (La littérature comparée et la quête d'un territoire) دعوة لتجديد مناهج المقارنة بما يتماشى مع العولمة الثقافية وثورة الرقمنة والأدب التفاعلي الذي غيَّر مفهوم الوسائط.

ولم تلق المكتبة المقارنية الأمريكية الاهتمام والعناية الوظيفية من حيث التنظير وانتقاد المبادئ والشروط على الرغم من الإشكالات الكبيرة التي يثيرها منهج مقارنة الأدب بالفنون التعبيرية المختلفة من رسم ونحت وموسيقى وهي الآلية الإجرائية التي تستوجب فكرا موسوعيا وتخصصا فنيا يضمن ادني المعارف بالفنون التعبيرية، واكتفت الترجمات بتداول كتاب رينه ويليك (René Wellek)(1903-1995) "**مفاهيم نقدية**" وفي جزئه المتعلق ب "أزمة الأدب المقارن"[3]، أما الجانب التطبيقي فقد اقتصرت واكتفت التطبيقات العربية ببعض المقارنات في حقل المشابهات التي لم تستند إلى دليل تاريخي وفق مبادئ المدرسة الفرنسية، كدراسة نسيب نشاوي حول ((**ديك الجن الحمصي وشكسبير**))[4] ودراسة صالحة نصر حول (**البخيل والبخلاء بين الجاحظ وموليير دراسة مقارنة لأنموذج البخيل بين: الأدب العربي والأدب الفرنسي**)[5].

في حين بقيت كتب هنري ريماك(Henry . Remack) (1916-2009) "الأدب المقارن تعريفه ووظيفته " Comparative literatur , its, definition and function"(1961) وكتاب هاري ليفن(Levin Harry) (1912-1994) "انكسارات، مقالات في الأدب المقارن" (refrations , essays in comparative litteratur,) (1966) وكتاب روبير.ج .كليمنتس (Robert. J. Clements) " الأدب المقارن تخصص أكاديمي: المبادئ الأساسية، والتطبيقات والمقاييس" (Comparative Literature as Academic Discipline: Astatment of principales, Praxis and Standards) مراجع للاستدلال على خصائص الرؤية الأمريكية للمقارنة وثورتها على التاريخانية والمركزية الفرنسية دون أن ترقى إلى مستويات التأصيل لبناء تصور ومفهوم جديد للأدب المقارن.

بالانتقال إلى المعسكر الشرقي، يقع الباحث على الرؤية الاشتراكية (المادية، الجدلية التاريخية) أو ما اصطلح عليه بالمدرسة السلافية، التي تبنت الرؤية الاشتراكية في مقاربة الآداب المقارنة وركزت على الوظيفة الاجتماعية والاقتصادية للأدب، وأسَّست رؤيتها المقارنة على المشابهات في الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي من شأنها بناء آداب عالمية متشابهة في الشكل والمضمون والمحتويات والمحمولات الدلالية والمعرفية، ويعد كل من فيسيلوفسكي وفيكتور مكسيموفيتش جيرمونسكيوني ويوبا كويفا والكسندر ديما من أعلام هذه التجربة بدراساتهم النظرية والتطبيقية، وعلى الرغم من سيطرة الرؤية الاشتراكية على الأنظمة السياسية العربية إلاَّ أن المقارنة وفق هذه النظرية بقيت محدودة قياسا بالمدرسة الفرنسية خاصة.

وقد اعتبرت كتب التاريخ الأدبي المقارن فيكتور مكسيموفيتش جيرمونسكيوني (V.M.Girmounski) (1891-1971) الأكاديمي الروسي رائدًا ومُنظرًا لهذه الاتجاه بدراساته الأكاديمية والتي من أهمها "علم الأدب المقارن وقضية المؤثرات الأدبية" (1936) وكتابه الشهير "علم الأدب المقارن، شرق غرب" بالإضافة إلى دراسات تطبيقية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في نظرية تلقي الآداب والأعلام والصور ومنها "غوتة في الأدب الروسي" (1937) و"بايرون وبوشكين من تاريخ الملحمة الرومانية" (1947).

ولم تستثمر الدراسات العربية للدراسات المقارنة مبادئ الاشتراكيين للتأسيس لنظرية عربية مقارنة نظرا لتشتت الجهود والاستئثار بالذاتية والصراع بين المشرق والمغرب على الريادة وغياب الأرضية الفكرية والمعرفية وغيرها من الأسباب الموضوعية.

ثانيا: مرحلة الترويج والدراسات التطبيقية ومحاولة التأصيل لمدرسة عربية

لقد كانت أعمال الباحث الأكاديمي الجزائري جمال الدين بن الشيخ (1930-2005) فتحًا في التعريف والترويج لانتشار المقارنة وفكرها ومحاور بحثها، بفضل المنشورات العلمية الموضوعية من حيث المقاربة والتوثيق، التي احتوتها أعداد "مجلة الكراسات الجزائرية للأدب المقارن " (Cahiers algériens de littérature comparée) والتي تناءت أبحاثها عن الرؤية التنظيرية وتكرار شروط المقارنة وآلياتها وحقولها، فكانت فضاءً إبداعيًا للإجراءات التطبيقية ورؤية معرفية لتجسيد المنهج المقارن مقترنا بالنصوص الإبداعية، فقد كشفت دراسته الموسومة " حول المصادر العربية لقصة خ.ل.بورخيس صباغ مرو المقنع" (A propos des sources arabes d'une nouvelle de J.L. Borgès, 'Le teinturier masqué Hakim de Merv')[6] للكاتب الارجنتيني خورخي لويس بورخيس (1899-1986) عن تبيان المؤثرات العربية والإسلامية في الفكر الإنساني.

وعلى الرغم من البدايات التطبيقية والمقاربات المنهجية، فلم تتمكن منظومة التأليف الأكاديمي في حقل الأدب المقارن من التخلص والتحرر من المنظور النظري الذي واكب مرحلة التأسيس والتأصيل بالتعريف بأصول المقارنة وخصائصها وضوابطها وميادينها ورسالتها وفق الرؤية الفرنسية مهد المقارنة الأدبية، مع التعريج على انتقادات تيار النقد الجديد الذي بنى أصول مدرسته على انتقادات التوجهات النقدية والمرجعية للمدرسة التاريخية الفرنسية، وهو التيار الذي نعت ووسم فيما بعد بالمدرسة الأمريكية، التي انبثقت من مؤتمر شابل هيل (Chapel Hill) سنة 1958، ومحاضرات روني ويليك (René Wellek)(1903- 1995).

سار التأليف عمومًا بإدماج قسم نظري في الأقسام الأولى من المصنفات من باب التعريف بالحقل النقدي والتعريف بالاصول النظرية لمختلف المدارس المقارنية وكان هذا شأن محمد محمد البحيري،" الأدب المقارن" (1953) ومحمد عبد الرحمن شعيب " في الأدب المقارن . أصوله وتياراته" (1968) وعبده الراجحي، "محاضرات في الأدب المقارن "(1973) وغيرها من الدراسات التي سارت على المنهاج ذاته في العرض مكررة المبادئ العامة للمقارنة الفرنسية، شرحا ووصفا وتعقيبا نقديا وتوضيحا فنيا.

واختلط الأمر على مجموعة كبيرة من المؤلفين الذين جمعوا بين المنهج المقارني في مقاربة الآداب وبين المناهج النقدية التي تتناول الخطاب الأدبي برؤية تحليلية وتفكيكية وفق خصائص تيار نقدي محدد بأصول وتقنيات، كما حدث مع عبد السلام طاهر : نظرات جديدة في الأدب المقارن وبعض المساجلات الشعرية (1957) وصفاء خلوصي : دراسات في الأدب المقارن والمدارس الأدبية (1957) وعبد المنعم إسماعيل : نظرية الأدب ومناهج البحث الأدبي (1977) الذي صنف الأدب المقارن ضمن المناهج النقدية، وكذا الخلط أيضا بين المقارنة والمدارس الأدبية،شفيق البقاعي : الأنواع الأدبية : مذاهب ومدارس في الأدب المقارن (1985).

واقتصرت الدراسات التطبيقية على محاور محددة كانت نواتها الأولى العلاقات بين العالم العربي والعالم الإسلامي، مع التركيز على إبراز التبادلات الثقافية، فظهرت دراسات تطبيقية تتناول التأثير والتأثر بين الأدب العربي والتركي والفارسي، ومنها دراسة حسين مجيب المصري، في الأدب العربي والتركي ، دراسة في الأدب الإسلامي المقارن (1963) وبحث محمد السعيد جمال الدين، "الأدب المقارن، دراسات تطبيقية في الأدبين العربي والفارسي"

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(1989) لتتوسع الدراسات فيما بعد إلى مختلف الأمم، مثل كتاب رجاء عبد المنعم جبر، "تاريخ الأدب المقارن، المبادلات الأدبية بين الأمم" (1986)، وكتاب حسين مجيب المصري، "صلات بين العرب والفرس والترك، دراسة تاريخية أدبية" (2001).

ارتكزت بعض الدراسات التطبيقية الأخرى على تبيان تأثير الأدب العربي في الآداب الأوروبية خاصة تأثير قصص ألف ليلة وليلة ومنها دراسة، محمود طرشونة، "مدخل إلى الأدب المقارن وتطبيقه على ألف ليلة وليلة " (1986) وتأثير "*رسالة الغفران*" لأبي العلاء المعرّيّ (973م-1057) في الكوميديا الإلهيّة لدانتي (Dante Alighieri) (ت 1321).

وتنوعت بعض الدراسات لتتناول التأثير اليوناني في الأدب العربي، خاصة تأثيرات سوفوكليس (Sophocle) ومنها "أويب ملكا" في مسرح توفيق الحكيم.

على الرغم من التنوع والتعدد في البحث التطبيقي ما تزال مراحل تاريخية ارتبطت فيها المنظومة الفكرية والأدبية العربية بغيرها الأجنبية من أوروبية وآسيوية وافريقية خصبة لم تقاربها الدراسات ولم تولها الأهمية لكشف حجم القيمة الإنسانية للفكر العربي الإسلامي ودوره في البناء الحضاري العالمي.

2- آفاق المقارنة الجديدة

وجدت الدراسات المعاصرة للمقارنة صدى محدودًا مقتصرًا على باحثين عربيين هما حسام الخطيب[7] وعزالدين المناصرة[8]، في مؤلفاتهم المتعلقة بالنقد الثقافي المقارن وعلاقة الأدب المقارن بالعولمة، من خلال تبيان علاقة الأدب المقارن بالعلوم البينية والأنساق الثقافية.

وبقيت دراسات مجلة الأدب المقارن (Revue de Littérature Comparée)[9] والجمعية الفرنسية للأدب العام والمقارن(SFLGC)[10] تنتظر الإفراج والاكتشاف، فهي كنز مقارني ومعرفي رائد، بما ينشره من أبحاث تكشف عن الحقول البحثية الجديدة للمقارنة المعاصرة، وتفاعلها مع عالم المعلوماتية والرقمنة ونتائج دراسات ما بعد الكولونيالية، فقد كتب دي هيبير رولان (De Hubert Roland) عن " السبل الجديدة للمقارنة " فجاءت فصول الكتاب موزعة بين "ايبيستيمولوجيا المقارنة والمقاراناتية (comparabilité)" (ص 13) و"حوار العلاقات ما بين التخصصات في حقل المقارنة" (ص 41) و"دراسة الصورة بين علم النفس الاجتماعي وعلم النفس المعرفي" (ص 55)[11].

كشف جون مارك مورا (Jean-Marc Moura)(1956)[12] عن روافد جديدة للمقارنة تتماشى مع العلاقات الجديدة التي تربط الميتروبول بمستعمراتها القديمة أو صراع المركز والهامش حين نشر على موقع الجمعية الفرنسية للأدبين العام والمقارن بحثا موسوما بـ " ما بعد الكولونيالية والمقارنة" (Postcolonialisme et comparatisme) وضَّح فيها الافاق الجديدة للمقارنة في علاقاتها مع اداب المستعمرات «حيث دعا إلى ضرورة الاهتمام بأخر تطورات حقل المقارنة وذلك بالمقارنة بين آداب المستعمرات وما بعدها ضمن مفهوم التاريخ المقارن للآداب، بالتعرض إلى تحليل آداب المركزيات الكولونيالية الغربية الإنجليزية والفرنسية والهولندية والإسبانية والبرتغالية، للكشف عن الأنساق الثقافية الجديدة ومنها مثلا العلاقة بين الزنوجة بالمفهوم الفرنسي وبين الكتاب الأفارقة الناطقين بالانجليزية، أو العلاقة بين كتاب جزر الكراييب والكتاب الأفارقة خاصة بين سيزار وداماس وسنغور والعلاقة أيضا بين آداب المناطق نفسها كدراسة العلاقات بين آداب الكراييب الانجليزية والفرنسية والاسبانية والهولندية»[13].

وبالانتقال الى ميدان كثير التداول في الدراسات التطبيقية المقارنة وهو موضوع صورة " الآخر" الذي يحيلنا إلى مبحث يسمى علم الصورة أو الصورولوجيا(Imagologie) والذي يهتم بدراسة الصور والتصورات، والتمثيلات والتمثّلات الذهنية الثقافية والاجتماعية التي تكوّنها الشعوب عن بعضها بعضا، وتنتجها النصوص، سواء أكانت

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أدبية أو غير أدبية، عن الغير، وبشكل خاص كتب الرحلات التي تعدّ أرضية ملائمة لإثارة إشكالية الهوية والغيرية نظرًا لكونها جزءًا من الخيال الاجتماعي،والفضاء الثقافي أو الأيديولوجي»[14].

وكان هذا المبحث سببا في أن يكتب دانييل هنري باجو (Daniel-Henri Pageaux)(1939) حول علاقة الأدب المقارن بالمتخيل للتقليل من نسبة الخيال « فالمقارني لا يستطيع تجاهل إشكالات المتخيَّل والخطأ، ومسالة درجات الأخطاء ونسبتها في دراسة الصورة ... إن الخيال قدرة وقوة تمكِّن الإنسان من تحويل الانطباعات المُنتجة عن المعاني إلى صور والتي هي بدورها وسائل للفكر»[15].

حاولت المقارنة المعاصرة الخروج من شرنقة التأثير والتأثر، والوسائط التقليدية لتصل إلى الآفاق الجديدة وفتح أبواب العولمة والدراسات البينية ودراسات التابع وما بعد الكولونيالية، فظهر كتاب " النظريات العابرة للقارات، رحلات المقارنة ما بعد الكولونيالية، ليفتح موضوعات جديدة لم تكن متداولة في الدراسات التطبيقية المقارنة التقليدية ومنها "التاريخ العابر للثقافات ونظريات ما الاستعمار الأدبية" و"إدوارد سعيد المقارن" و "الإنسانية المرتحلة" بالإضافة إلى أبحاث حول "قراءة ادوارد سعيد بالعربية" و "عالمية الأدب الهجينة" و" غيرية الآخر"[16].

ومن الأبحاث الرائدة في حقل المقارنة كتاب "تأويلات ما بعد كولونيالية وعولمة، لآداب اللغات الألمانية، الانجليزية، الاسبانية،الفرنسية، الايطالية والبرتغالية"، وجمع هذا الكتاب أعمال النقاد والمتخصصين في آداب ما بعد الكولونيالية للدول الناطقة ب (بالفرنسية ، الناطقة بالإسبانية ، الناطقة بالإسبانية ، الناطقة بالبرتغالية) بالإضافة إلى الدول الناطقة بالألمانية والانجليزية، وتهدف الدراسة إلى تبيان الخصائص النقدية والمنهجية الخاصة بكل مجال لغوي، في ميدان نظريات ما بعد الكولونيالية وتفسيراتها الوطنية.

وتسعى الدراسة إلى تقديم وعرض كل المقاربات قصد بناء نظرية عالمية لفهم النظرية الكولونيالية.[17]

لم تتمكن الدراسات العربية النظرية والتطبيقية من الاستثمار في الابحاث الغربية بمختلف مارسها وتياراتها وفضاءاتها للتاسيس لرؤية عربية مقارنة تتميز بهوية خاصة توازي وتواكب التطورات والمستجدات في حقل المقارنة العالمية، وفي زمن استحالت فيه العزلة والانكفاء على الذات.

كما فشلت في التعبير عن كينونتها التاريخية بالبحث في علاقاتها مع المركز الاستعماري بعد انتشار دراسات ما بعد الكولونيالية وارتباطها بالغيرية والمثاقفة القسرية.

فقد فتحت دراسات ما بعد الكولونيالية آفاقا وميادين جديدة للبحث المقارني للكشف عن العلاقات الثقافية المتبادلة بين المركز والهامش تحت ظروف الاستبداد والاستلاب والاستغراب.[18]

لم تتمكن الدراسات العربية في الأدب المقارن من الاستفادة والاستثمار في عمليات النقد الذاتي وأبحاث المراجعات التي مارسها وأنجزها رواد وأنصار المدرسة الفرنسية في اجتهاداتهم لتجديد الرؤى والضوابط بغرض التوسع والانتشار والتكيف والتفاعل مع المستجدات في حقل المقارنة خاصة بعد ظهور بوادر استشرافية لظهور مقاربات جديدة تستند في تأسيسها على عيوب التيار الفرنسي.

فقد ساهمت كتابات روني ايتيامبل René Étiemble (1909-2002) وخاصة كتابه النقدي "المقارنة ليست مبررا، أزمة الأدب المقارن" (Comparaison n'est pas raison : La crise de la littérature comparée, (1963) في التنبيه إلى ضرورة تخلص المدرسة الفرنسية من سلطتي التاريخ والمركزية (l'eurocentrisme) حيث دعا إلى الانفتاح على الفضاءات الكونية وخاصة المشهد الثقافي الشرقي (العربي والآسيوي).

انفلتت هذه النقائص والعيوب من المنظومة العربية ليستغلها أنصار الاتجاهات النقدية الحديثة ويؤسسوا على أنقاضها ولبناتها توجهات وتيارات ومدارس جديدة تعبّر عن خصوصياتهم الثقافية وهوياتهم الأدبية وتطلعاتهم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المستقبلية في عوالم المقارنة الأدبية، وبقيت الدراسات والأبحاث العربية سجينة الاستعراضات العامة لأصول المدارس المقارنة العالمية (الفرنسية والأمريكية والسلافية) ومكتفية ببعض الدراسات التطبيقية السطحية التي تنبش في العلاقات التاريخية من أجل الحصول على دليل يثبت علاقة تأثير وتأثر، وهذا ما افقد الدراسات القدرة على التأصيل لمدرسة عربية مستقلة بهويتها ومميزاتها الفنية والأدبية.

وتحولت مع هذه الدراسات المكتبة المقارنية العربية إلى مكتبة لأبحاث عربية في الأدب المقارن وليست إلى أبحاث للمدرسة العربية في الأدب المقارن وتلك المفارقة الجوهرية؟

3- الرقمنة من الوجوب إلى الحتمية

يقصد بعملية الرقمنة تحويل النصوص التقليدية إلى نصوص مقروءة آليا بواسطة الحاسب الآلي وباستخدام التقنيات والأجهزة المسخرة لهذا الغرض والمعدة لانجاز هذه الوظيفة التقنية . ومع اعتماد المكتبات الأكاديمية والجامعية على الملفات الرقمية التي تحمل المضامين البيبليوغرافية لمختلف العلوم والمعارف، ومع التحولات الكبرى في حقل الرقمنة والفهارس الحاسوبية، اصبح من الضرورة ومن أولويات البحث البيليوغرافي المقارن الدعوة إلى إعداد المكتبة المقارنية الأدبية.

لقد حوَّل المركز الفرنسي للبحث في الأدب المقارن (CRLC) (Centre de Recherche en Littérature Comparée)[19] أبحاثه الأكاديمية وأطروحاته الجامعية وأعمال ملتقياته العلمية من الورقية إلى الرقمية بهدف الانتشار والشيوع والتعميم ولترويج، فالرقمنة تفتح الآفاق نحو الباحثين للاطلاع والاقتباس والتحليل والنقد والتقييم والتقويم للمنجز الأدبي المقارن، بعد مرحلة الركود التي أنتجتها الرؤى الكلاسيكية لوظيفة للمكتبة.

وتفتح تقنيات الرقمة والتواصل الشبكي الأكاديمي التفاعلي، آفاقا جديدة ورائدة للبحث المقارني من حيث تجديد المنهج وذلك بالاستعانة بمنهج العلوم البينية (Pluridisciplinarité) ودراسات سيكولوجية الشعوب والثقافات (psychanalyse des peuples et les cultures) ونظريات النقد الثقافي، وغيرها من المناهج النقدية والمعرفية المعاصرة التي تُؤسِّس لانساق ثقافية جديدة تتبنَّى الانفتاح تقاوم المركزيات والإيديولوجيات المتحيزة وتؤصل لمثاقفة ندية تحارب الإقصاء وتؤمن بالمشترك الإنساني في البناء الحضاري الذي تشكَّل من تراكمات معرفية عامة وشاملة ساهمت فيها الإنسانية جمعاء باختلاف عقائدها وألسنتها وأعراقها ومرجعياتها.

أما من حيث التيمات (Thèmes) فتساهم الرقمنة التفاعلية بالانفتاح على نظريات المثاقفة (l'acculturation) والعولمة الثقافية (mondialisation culturelle) وحوار الحضارات (Dialogue des civilisations) وثقافة الاختلاف والغيرية (L'altérité).

تساهم الرقمنة كآلية للبحث ووسيلة للتواصل من تجاوز إشكالية "الوسائط" في الأدب المقارن من خلال تسهيلاتها لعمليات "الترجمة" كوسيط ثقافي في إنتاج الدلالة والانفتاح على مُنجز المغايرة، كمرآة للأنا تنعكس فيها نقدًا واطلاعا وإثراءً ثقافيًا، فقد غدت برامج الترجمة متنوعة من حيث النوعية والتعددية اللسانية، مما يسمح بالاطلاع على المنتوج الثقافي العالمي في ظرف زماني قصير.

وفي مجال الاحتكاك الثقافي وتكوين صور الشعوب في آداب بعضها (Imagologie) مكَّنت الرقمنة من تحقيق تواصل بين الأفراد والجماعات عن طريق وسائط الكترونية تفاعلية، فزالت واضمحلت وانتهت مَهمَّة الوسيط المُفرد الذي جسَّده الرحَّالة متنقلا بين الفضاءات الثقافية والحضارية ناقلاً ومُصورًا المشاهد الثقافية والخصوصيات الحضارية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ورافقت هذه الآلية أيضا تصحيح وتصويب الصور النمطية المزيفة (Stéréotypes) التي أسَّسها الاستشراق والمنظومات الفكرية العنصرية، فجاء الخطاب المرئي، مُهيكلا بالصورة الرقمية الواضحة لتفنيد كل النماذج والصور الوهمية التي روَّجتها المرويات السردية عبر مراحل التاريخ.

تتجلى الآفاق الجديدة للمقارنة الأدبية في تبنِّي الاستراتيجيات الحداثية من حيث المنهج والوسيلة لتخليص المقارنة من هيمنة الرؤى القاصرة والأهداف المحدودة والنتائج السطحية.

فالانفجار المعرفي وفتوحات العولمة والثورة في عوالم الاتصال والرقمنة والحاسوبية تستوجب التجديد واستغلال تقنيات التفاعلية (Interactivité) لولوج فضاءات الكونية (Cosmopolitisme) بغرض الانتشار والشيوع وتجديد الهوية بخصائص وضوابط تتكيف وتتفاعل مع المستجدات، قبل دخول ثقافة الما بعديات والنهايات والتحول من الوجودية والكينونة إلى الموت والانقراض والخلود في مصنفات ومتون التاريخ القديم.

مراجع الدراسة

باللغة العربية:

1- بوشعيب الساوري، صورة الآخر في رحلات عربية من القرن العاشر ميلادي إلى القرن الواحد والعشرين،ط1، النايا للدراسات والنشر،2014، دمشق.

2- حسام الخطيب، "**آفاق الأدب المقارن عربياً وعالمياً**"، دار الفكر المعاصر، بيروت ، دار الفكر، دمشق، ط1، (1992) و "**الأدب المقارن من العالمية إلى العولمة**"، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الدوحة، قطر، (2001) و" **الأدب العربي المقارن،واجهات وعلاقات**"، المكتب العربي للترجمة والنشر، الدوحة، (2001).

3- رينيه ويليك، مفاهيم نقدية، ترجمة محمد عصفور، عالم المعرفة، رقم 100، الكويت، يونيو 1987.

4- صالحة نصر، البخيل والبخلاء بين الجاحظ وموليير دراسة مقارنة لأنموذج البخيل بين: الأدب العربي والأدب الفرنسي، مجلة الموقف الادبي، المجلد 32، العدد 384، اتحاد الكتاب العرب، 2003، دمشق.

5- عز الدين المناصرة، "**المثاقفة والنقد المقارن، منظور إشكالي**"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، (1996)، وكتاب "**النقد الثقافي المقارن**"، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع (2005) وكتاب "**علم التناص المقارن**"، نحو منهج عنكبوتب تفاعلي، دار مجدلاوي (2006).

باللغة الأجنبية:

6- BENCHEIKH, Jamel Eddine, A propos des sources arabes d'une nouvelle de J.L. Borgès, 'Le teinturier masqué Hakim de Merv', Cahiers algériens de littérature compare, n°1, 1966.

7- Daniel-Henri Pageaux, Littérature générale et comparée et imaginaire, Biblioteca Virtuel, Miguel De Cervantes.

8- De Hubert Roland et Stéphanie Vanasten, Les nouevlles voies du comparatisme, Editeur , Academia Press,2010.

9- Françoise Aubès, Silvia Contarini, Jean-Marc Moura, Interprétations postcoloniales et mondialisation: Littératures de langues allemande, anglaise, espagnole, française, italienne et portugaise (Liminaires–Passages interculturels) Editeur , Peter Lang AG, Internationaler Verlag der Wissenschaften, 2014.

10- Jean-Marc Moura, « Postcolonialisme et comparatisme », SFLGC, Bibliothèque comparatiste, URL : http://sflgc.org/bibliotheque/moura-jean-marc-postcolonialisme-et-comparatisme/, page consultée le 13 Octobre 2019.

11-Lieven D'Hulst, Quelques perspectives récentes en études postcoloniales francophones , in Revue de littérature compare, (Ne 302), 2002/2.

12- Pascale Rabault-Feuerhahn, Théories intercontinentales, Voyages du comparatisme postcolonial, Collection, Quaero,2014.

هوامش وإحالات الدراسة

1 - يُنظر كتاب : Adrian Marino, Etiemble : ou Le comparatisme militant, Gallimard, Paris,1982.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2- يعتمد سعيد علوش تقسيمًا خاصًا لمنهجيات التأليف في الأدب المقارن بتقسيمه تاريخيًا إلى ثلاثة مراحل هي: التأسيس (1948-1960) الترويج (1960-1970) عقد الرشد (1970-1986) يُنظر كتاب : سعيد علوش، مدارس الأدب المقارن، دراسة منهجية،ك1، المركز الثقافي العربي، 1987 . بينما يقسم محمد عباسة التأليف المقارني إلى قسمين: مرحلة التأليف المنهجي ومرحلة النضج والازدهار، يُنظر: محمد عباسة، المدرسة العربية في الأدب المقارن، مجلة حوليات التراث، العدد، 17، جامعة مستغانم، 2017، الجزائر، ص ص، 17، 18.

3 - رينيه ويليك، مفاهيم نقدية، ترجمة محمد عصفور، عالم المعرفة، رقم 100، الكويت، يونيو 1987، ص، 297.

4 - أعمال الملتقى الدولي حول الأدب المقارن عند العرب، عنابة 19 - 14ماي 1983، جامعة عنابة، معهد اللغات والآداب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985.

5- صالحة نصر، البخيل والبخلاء بين الجاحظ وموليير دراسة مقارنة لأنموذج البخيل بين: الأدب العربي والأدب الفرنسي، مجلة الموقف الادبي، المجلد 32، العدد 384، اتحاد الكتاب العرب، 2003، دمشق، ص، 11 .

6- BENCHEIKH, Jamel Eddine, A propos des sources arabes d'une nouvelle de J.L. Borgès, 'Le teinturier masqué Hakim de Merv', Cahiers algériens de littérature compare, n°1, 1966, p. 3.

[7] - حسام الخطيب، "**آفاق الأدب المقارن عربياً وعالمياً**"، دار الفكر المعاصر، بيروت ، دار الفكر، دمشق، ط1، (1992) و "**الأدب المقارن من العالمية إلى العولمة**"، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الدوحة، قطر، (2001) و" **الأدب العربي المقارن،واجهات وعلاقات**"، المكتب العربي للترجمة والنشر، الدوحة، (2001).

[8] - عز الدين المناصرة، "**المثاقفة والنقد المقارن، منظور إشكالي**"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، (1996)، وكتاب "**النقد الثقافي المقارن**"، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع (2005) وكتاب "**علم التناص المقارن**"، نحو منهج عنكبوتب تفاعلي، دار مجدلاوي (2006).

[9] - أنشأها فرناند بالدنسبرجر (Fernand Baldensperger) (1871-1958) وبول هازارد (Paul Hazard)(1878-1944) سنة 1921، وكانت تصدر باللغتين الفرنسية والانجليزية، ويعد بحث بالدنسبرجر في العدد الافتتاحي (الكلمة والشيء)(Le Mot et la Chose) رؤية جديدة ومتطورة لمفهوم المقارنة والياتها ومناهجها وعلاقتها بالأدب العام والنقد.

[10] - الجمعية الفرنسية للأدب العام والمقارن (S.F.L.G.C) هي المؤسسة البحثية الفرنسية الأخيرة المنبثقة عن مؤسسات وجمعيات فرنسية مختصة في الأدب المقارنة التي بدأت في النشاط البحثي منذ 6 أفريل 1957، تاريخ تكوين الجمعية الوطنية الفرنسية للأدب المقارن (S.N.F.L.C). وتضم مئات الباحثين من مختلف دول العالم وتدير أطاريح وتنجز بحوثا أكاديمية في حقول المقارنة، كما تقوم بإعداد مؤتمرات سنوية بالتنسيق مع هيئات بحثية عالمية منها، الجمعية العالمية للدب المقارن (A.I.L.C) والفدرالية الدولية للغات والآداب الحديثة (F.I.L.L.M) والجمعية الأوروبية للأدب المقارن (S.E.L.C).

[11] - De Hubert Roland et Stéphanie Vanasten, Les nouevlles voies du comparatisme, Editeur , Academia Press,2010.

[12] - باحث وكاتب وأستاذ جامعي للأدب المقارن والآداب الفرنكفونية، له مؤلفات عديدة في الأدب المقارن منها " صورة العالم الثالث في الرواية الفرنسية من 1968 إلى 1980" (L'Image du Tiers-Monde dans le roman français de 1968 à 1980,) سنة 1992، وكتاب " الاداب الفرنكفونية والنظرية ما بعد الكولونيالية" (Littératures francophones et théorie postcoloniale) سنة 1999، والذي يقترح فيه رؤية ما بعد كولونيالية فرنسية لتفادي الرفض المركزي الفرنسي والموقف الصلب للهامش وتجاوزًا للتأويل الأمريكي والروسي للمواقف الفرنسية (Pour une théorie postcoloniale francophone) ص 147.

13 - Jean-Marc Moura, « Postcolonialisme et comparatisme », SFLGC, Bibliothèque comparatiste, URL : http://sflgc.org/bibliotheque/moura-jean-marc-postcolonialisme-et-comparatisme/, page consultée le 13 Octobre 2019.

[14] - بوشعيب الساوري، صورة الآخر في رحلات عربية من القرن العاشر ميلادي إلى القرن الواحد والعشرين،ط1، النايا للدراسات والنشر،2014، دمشق، ص،6 .

15- Daniel-Henri Pageaux, Littérature générale et comparée et imaginaire, Biblioteca Virtuel, Miguel De Cervantes, pp, 80,81.

16- Pascale Rabault-Feuerhahn, Théories intercontinentales, Voyages du comparatisme postcolonial, Collection, Quaero,2014.

17_ Françoise Aubès, Silvia Contarini, Jean-Marc Moura, Interprétations postcoloniales et mondialisation: Littératures de langues allemande, anglaise, espagnole, française, italienne et portugaise (Liminaires–Passages interculturels) Editeur , Peter Lang AG, Internationaler Verlag der Wissenschaften, 2014.

18- Lieven D'Hulst, Quelques perspectives récentes en études postcoloniales francophones , in Revue de littérature compare, (Ne 302), 2002/2,p, 248

[19] - أنشأ الدكتور بيير برونيل (Pierre Brunel) (1939) مركز البحث في الأدب المقارن (CRLC) بجامعة السوربون بباريس،سنة 1981، ليتفرع في إطاره مركز البحث في أدب الرحلة سنة 2008، ويضم المركزين باحثين من مختلف دول العالم. من وظائف المركز الإشراف على أطروحات الأدب المقارن وتنظيم الملتقيات الدولية ومتابعة التطورات النظرية في هذا الحقل المعرفي بإصدارات أكاديمية متنوعة، منها مجلة الأدب المقارن (Revue de littérature comparée).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com